

نحات مصري يحرض الجمهور على تحطيم المسلمات

ناثان دوس: الإنسان المعاصر كائن الأقنعة التي يكسرها النحت



منحوتات تفكر وتحس



وراء كل منحوتة حكاية

وعلى مدار يومه، ذلك ما تعددت أن أبرزه. في إطار قصيدة دوس، نجد أنه أراد عبر هذا التمثال توجيه دعوة إلى الظهور بشخصياتنا واحتياجاتنا الحقيقية دون تزييف، إلى حد أنه جاء بقناع مفرغ يتخذ شكل القضبان، في دلالة على تحوله إلى سجن لصاحبه بعد أن تعود عليه.

استخدم الفنان خامسة البرونز في أعماله التي ضمها المعرض، معتمدا على الشمع المباش، مقدما قطعة واحدة من كل تمثال بلا قوالب، "لا أضع وقتي في الصب في قوالب أخرى، بدلا من ذلك أقدم أفكارا جديدة وتقنية جديدة".

في هذا المعرض احتفى دوس بالفراغ الداخلي له، كما عمل على تكسير التمثال وإعادة تجميعه من الداخل، كما في تمثال "عصف ذهني" كي يخدم الفكرة، وهي هنا التركيز على الصراع الداخلي العنيف للإنسان، لتحقيق التناغم بين الكتلة والفراغ ما يخدم الشكل النهائي الحدائي له.

من تمثال إلى آخر يفوق الفنان في أفكاره وهمومه ويشبعها بضمير وإخلاص شديدين

تشغله. مع منحوتة "في انتظار الفارس" نعيش فكرة موجهة في المجتمع المصري، وهي فكرة الانتظار، أو بمعنى أدق طول الانتظار، عبر تجسيده لفنائه لتطلع إلى أعلى في انتظار فارس الأحلام على

حصانه الأبيض، حتى تصدم الفتاة والمتلقي معا حين يُقدم لها فارس ضعيف يمتطي حصانا هزليا، لم يستدعه الفنان من الأساطير أو إحدى روايات الأدب العالمي، إنما شكله من نسج واقع لم يعد يعترف بالانتظار دون عمل، ودون تطوير للنفس، لنكتشف أن الفتاة ليست سوى رمز لكل من يركن إلى الراحة في انتظار تحقيق معجزات السماء.

وفي "الرجل والقناع" نجد أنفسنا أمام تساؤلات أخرى يطرحها الفنان منها "لكم هو صعب أن نظل نرتدي الأقنعة طوال اليوم، لكن هل يمكن أن نواجه الحياة من دون قناع؟". يعلق ناثان دوس في حديثه قائلا "الإنسان أصبح دوما يرتدي الأقنعة، بل يبدلها بحسب المواقف التي يواجهها على مدار حياته،

يقراً صف اليوم كلها، بينما يجلس مهموما بالشان العام.

من اللافت في أعمال المعرض وجود تعدد مسبق لتحميل المنحوتة قضية يعينها من قبل البدء في العمل، ما يثير بدوره قضية فنية شائكة، طالما شغلت النقاد والمبدعين حول القضية في الإبداع، بمعنى هل ما يدفع الإبداع الحقيقي هو محرك ما أو فكرة مكتملة الأركان يقوم الفنان بصياغتها وهو في كامل وعيه الفني والوجداني، أم أن الأمر يتم لا شعوريا ودون قصدية أو هدف مسبق حين تتدفق الأحاسيس أو الأفكار على مسطح اللوحة أو الصفحة البيضاء بالنسبة إلى الكاتب؟

ويقدم ناثان دوس إجابة صادمة حين يقول "لا بد أن تكون لدى الفنان قضية، والا يكون الأمر عبثا، ففي الفن التشكيلي من يرسم دون قصدية كمن ربط فرشاة في ذيل حمار وحشي وتركه يخطبها بشكل عشوائي على المسطح، وللأسف يصر البعض على التنصل من القضية وكأنها عار أو إهانة، ويعلنون أنهم لم يتعمدوا شيئا محمدا، وعلى المتلقي أن يفهمها وحده، وهو ما اعتبره تعالينا على المتلقي، أو ربما يكون العمل مجرد انفعال لوني وضبط إيقاع".

التجميع من الداخل

لم يكتف الفنان في المعرض بالقصيدة السياسية، كما في عمله "المناضل الإلكتروني" و"نيران صديقة"، لكنه تطرق إلى القضية الاجتماعية في خضم انشغاله وبحثه في الشكل واستنطاقه، محاولا الإجابة عن تلك الأسئلة التي

لم يكتف الفنان في المعرض بالقصيدة السياسية، كما في عمله "المناضل الإلكتروني" و"نيران صديقة"، لكنه تطرق إلى القضية الاجتماعية في خضم انشغاله وبحثه في الشكل واستنطاقه، محاولا الإجابة عن تلك الأسئلة التي

ليس النحت مجرد محاكاة للواقع أو استعادة لبيوتريهات أشخاص أو مجسمات حيوانات أو غير ذلك من الرموز المتفق عليها، إنه فن أبعد من كل ذلك، حيث له وسائله الجمالية وطاقته الروحية ومخزونه الثقافي وأفكاره التي يعبر عنها، لذا فإن العمل النحتي فن يجمع بين ما هو جمالي وفكري، فن له رسالة يريد إبلاغها بتحويل الأفكار والمشاعر غير المادية إلى مادة ماثلة أمام المتلقي، دافعة إياه إلى التفكير وإعادة التفكير. وهكذا هي أعمال النحات المصري ناثان دوس.

لكن في النهاية من ورق، لا يمثل سوى مضمون هش.

يقول دوس "في لغتنا الدارجة نقول جيدا إن دماغه فارغة"، ويعد التمثال جرس إنذار لنبدأ كل ما ينتقل إلينا عبر التراث من خزعات قد ينسبها البعض بالخطأ إلى الدين أو التقاليد، في حين أنها لا تمت بصلة إليهما، كما أنه دعوة إلى إعمال العقل وإلا سيحول إلى سلة مهملات".

ومما يزيد من قوة رمزية التمثال أن القاعدة التي يستند إليها هي أيضا مليئة بالفراغات، في إشارة إلى ضعف المرجعية وعدم اتساقها العلمي، ويتشابه معه بشكل آخر تمثال "المثقف" مقدما قضية أتعاء الثقافة من خلال رأس حين نحاول دخولها نصطدم بواقعها المخزي.

أما تمثال "نيران صديقة" فيعبر عن الخيانة وأزواجية المواقف في السياسة، فالتمثال الذي استوحاه ناثان دوس من خيانة يهودا للسيد المسيح يسرد خيانة أميركا للسوريين والعراقيين معا، على حد تعبير الفنان، قائلا "كانت تعلن العداء لداعش، في حين نقرأ على الأسلحة عبارة: صنع في أميركا، لتأكد أن داعش صناعة أميركية بإتقان".

يلاحظ المشاهد أن التمثال الذي يجسد صديقا يهاجم آخر على قاعدة، يستند إلى صندوق ذخيرة لطلقات الدبابة كتبت عليه عبارة: زنة 58 كيلو مخلفات الجيش، ليكسو العمل بطاقة القتل والحرب قصد إبراز مفهوم الخيانة، وهو من باب إعادة تشغيل مخلفات الواقع لإبراز الفكرة الفنية.

المناضل الإلكتروني

من قضية الخيانة الخارجية إلى خيانة أبناء الوطن يأخذنا الفنان عبر منحوتة تعكس "النضال الوهمي"،

سواء بهدف التامر وكسب المال، أو لنقص الوعي لدى المواطن، وتحمل اسم "المناضل الرقمي"، وتبرز المناضلين الإلكترونيين أو "الديجيتال" المختبئين وراء شاشات هواتفهم أو أجهزة الكمبيوتر، ليبتوا الشائعات، وال طاقة السلبية ويوجهوا الانتقادات، ويقدمون آراء ودراسات تحليلية في كل الأمور من دون معلومات أو خبرة كافية، وكانهم محللون سياسيون محتكون.

عبر الفنان المصري عن ذلك من خلال شخص يتحول معه درع الحارب في عمله إلى ما يشبه شاشة المحمول، قائلا "العرب"، "وجدت نفسي انحنت تمثال الرجل بشكل يظهر مرتعشا ومهزوزا، مستندا إلى دائرة القاعدة، في إشارة إلى أن المشكلة لا تنتهي، ولن نتخلص منها، فهؤلاء الذين يكلمون الشائعات للوطن من الخارج ماذا يقدمون لأوطانهم، ولماذا يحتمون بقوى خارجية، أين الشجاعة في ما يفعلون، وأين طروحاتهم الفكرية والسياسية المقترحة والمفيدة".

ويضيف "كذلك هؤلاء الذين يتركون أعمالهم وتطور أنفسهم، في الداخل، بدلا من المساهمة في البناء تراهم يجلسون وفي يدهم مشروب ساخن، ويلتفون بالغطاء في الشتاء، دون عمل أو تغيير حتى للنفس".

أراد ناثان دوس، من خلال هذا العمل أن يقول "علينا أن ندعهم في طريقهم، ونمضي نحن في طريقنا دون أن نلتفت إليهم". في المقابل قدم تمثال "المناضل التقليدي"، الذي

ندى علي
كاتبة مصرية

لا تُعد المنحوتات بالنسبة إلى الفنان ناثان دوس تماثيل جميلة أو تحفا، بل هي أعمال متكاملة مُحملة بمضامين فكرية لها دلالات سياسية واجتماعية وسيكولوجية، من هنا كان اختياره عنوان "أيدولوجيات" ملائما لمعرضه الأخير بقاعة الزمالك للفن بالقاهرة.

وراء كل منحوتة في المعرض، الذي يحتتم في الـ 30 من نوفمبر الجاري، حكاية أو جملة حدائية تعبر عن قضية ما تمس الإنسان المعاصر، في وطنه أو منطلقه العربية المسكونة بازيمات وطروحات عديدة مصيرية ومشتركة.

من اللافت في أعمال المعرض وجود تعدد مسبق لتحميل المنحوتة قضية يعينها من قبل البدء في العمل

ومن تمثال إلى آخر يفوق الفنان في أفكاره وهمومه وإشكالياته التي لا تنتهي، ويشبعها بضمير وإخلاص شديدين، ويرفدها بالكثير من أفكاره وإرثه الفني الممتد إلى الحضارة المصرية القديمة، والمتميز بقافته الرفيعة الأصيلة في جنوب مصر، ما يساهم في نسجها نحتيا وبلورتها عبر تقنية مبهرة.

يظن المتابع لمعارض الفنان أنه قد بلغ ذروته الفنية وقد يكرر نفسه، كما قد يكون من الصعب على دوس في المعرض القادم أن يقدم جديدا، بعد أن عصر رحيق عقله واستنفذ أدواته الفنية، إلا أنه يجد أن ما فات لم يكن وأيقنا للفنان الذي لا يزال قادرا على طرح أشكال مدهشة ومُفردة على التفكير، تتدفق منها الأحاسيس المتباينة.

إعمال العقل

يؤكد ناثان دوس لـ "العرب" أنه قبل البدء في عمل جديد لا بد أن تكون هناك فكرة تلح عليه، يلبسها شكلا نحتيا، فالمنحوتة بكل خاماتها من برونز أو رخام أو غرانيت أو غير ذلك، ليست قطعة بيزان بها المكان أو تضيف جمالا لديكور المنزل، وتتحول مع الأيام إلى تحفة أو قطعة أنتيك.

ويضيف "المنحوتات عندي ليست مجرد بورتريه يجسد إنسانا، أو حصانا أو قطة أو حتى

بطلة جذابة في شكلها، دقيقة في نسبها، إنما أسعى إلى تقديم إبداع، وهو شيء مختلف، إنه المرحلة الأصعب، ومثل الكاتب الذي يؤلف عملا إبداعيا جميل الكلمات، عميق الأفكار، تكون أعماله عبر محاولتي المستمرة لتقديم طروحات فكرية محرّضة ومحركة للجمهور من خلال تقنية حديثة متجددة".

وبدلا من المعالجات الفنية المجردة في المطلق يلتقي في المعرض الذي يضم 35 عملا نحتيا، بالعديد من القضايا التي نحياها، ففي "إعمال العقل" على سبيل المثال نشاهد شكلا مجزا إلى قسمين، يجسد العقل، جزء يظهر فيه الدماغ لا يملأ الفراغ في رمز إلى أنه قد أصابه الضمور، وجزء آخر مكون من حجرات مُفرّقة يملأها الفنان بأوراق لامعة، كدلالة على أن البعض يزحم عقله بأفكار أو موروثات تبدو براقية،

